

التراث المادي في الجزائر وطرق الحفاظ عليه واستغلاله في التنمية السياحية

The tangible heritage in Algeria and ways to preserve and exploit it in tourism development

خالصة شراحيل *

جامعة باجي مختار عنابة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ

khalisa.cherahil@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/23 تاريخ القبول: 2022/12/11

الملخص:

يعتبر التراث المادي ارث حضاري وتاريخي لكل أمة، ويمثل كل ما توارثته الأجيال عبر العصور من بقايا أثرية ثابتة أو منقولة محفوظة لدى الهيئات العمومية أو الخاصة، والذي يمكن استغلاله كمردود اقتصادي إذا تتوفر الجزائر على تراث مادي كبير. حيث تعاقبت عليها الكثير من الحضارات منذ فترة ما قبل التاريخ الى يومنا هذا، وهذا ما يؤهلها لأن تكون قطبا سياحيا، ويجعلها مزارا للسياح المحليين والأجانب، وجعل المعالم الأثرية ثروة ثقافية وعصب الاقتصاد البديل في الجزائر، لذلك يجب الاهتمام بالتراث المادي وصيانه وتثمينه من طرف الجهات المختصة، ووضع بطاقات جرد لمعرفة حجم التراث للتشهير والتعريف به في الداخل والخارج، وإلهم السائح بصور تحفزه لزيارته ومعرفة أسرارته.

كلمات مفتاحية استغلال الآثار، التراث المادي، التنمية السياحية، المواقع الأثرية.

Abstract:

The tangible heritage is considered the cultural and historical heritage of every nation, and it represents all that has been inherited by generations through the ages from fixed or movable archaeological remains preserved in public or private bodies, which can be exploited as an economic return if Algeria has a great material heritage.

As many civilizations have succeeded in it starting from a period Prehistory to the present day, and this qualifies it to be a tourist pole, and makes it a site for local and foreign tourists, and makes archaeological monuments a cultural wealth and the backbone of the alternative economy in Algeria. To introduce it at home and abroad, and to inspire the tourist with images that motivate him to visit it and learn its secrets.

Keywords:

Archaeological sites, exploitation of antiquities, material heritage, tourism development.an14)

مقدمة: إن التراث المادي بالجزائر ثري ومتنوع وذلك بفضل شساعة القطر الجزائري وتنوع الطبيعة فيه من تل وهضاب وصحراء، مما استغله الإنسان منذ القديم في صناعة حضارة حسب طبيعة البيئة التي عاش فيها، فقد واجه الإنسان ظروف معيشة صعبة ولكنه استطاع أن يتأقلم معها واستغلال ما يصادفه لتحسين طبيعة حياته نحو الأفضل، ولقد ظل الإنسان لفترة تقترب من تقترب من مليون عام يعيش على الصيد، ثم تطورت قدراته العقلية وتخيالاته ومهارته ليرتقي إلى مستوى أفضل.

ومن التراث المادي الجزائري المصنف عالميا: سبعة مواقع هي طاسيلي ناجر، المواقع الأثرية للفترة القديمة تيمقاد وجميلة وتيبازة، قلعة بني حماد، قصبة الجزائر، واد مزاب، وبذلك فإن الجزائر تحتل مركز مهم من حيث المادة الأثرية يؤهلها لأن تكون قطب سياحي مهم في حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي وإفريقيا.

وإن رصد الحياة اليومية وصور الماضي والتحقق في الجوانب المحيطة بالتراث يمكن أن تعطينا أبعادا ذات دلالة ترفع من شأن هذا المورد ليمثل مردود اقتصادي وسياحي فاعل في المجتمعات الحاضرة.

كيف يمكن استغلال المواقع الأثرية موضوع الدراسة وجعلها عنصر فعال في التنمية السياحية، وما مدى إمكانية الاستفادة منها في وقتنا الحالي لتحقيق التنمية؟

2: مفاهيم حول التراث المادي:

1.2 تعريف التراث المادي: يعرف التراث أنه ما يبقى من الماضي ماثلا إلى الحاضر والذي انتقل عفويا أو إراديا¹، وهو ذلك التراكم المعرفي المتوارث الزاخر بالقيم والتقاليد، القادر على البقاء طوال الدهر بالرغم من التطور الحاصل، والآثار هي الجانب المادي الذي يشكل مع التراث كل ما خلفه الإنسان عبر الزمن²، ويعتبر تراثا أثريا أو تاريخيا أو تقليديا كل أثر خلفته الحضارات السابقة في البر أو البحر، سواء كان ذلك عقارات أو لقي أثرية منقولة أو وثائق أو مخطوطات³، خلفها الإنسان في فترة من الزمن وتبدأ من حقبة ما قبل التاريخ، مروا بالفترات القديمة والإسلامية وتمتد إلى الفترة الحديثة، وهو بذلك امتداد السلف للخلف وهو الذاكرة الحية للفرد والمجتمع لمعرفة انتماءه وهويته، فالتراث المادي هو أحد أهم مكونات الهوية الوطنية.

2.2 أنواع التراث:

– **التراث غير المادي:** ويشمل التقاليد وكل الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات والمهارات⁴.

– **التراث المادي:** وهو كل شيء ملموس، ويدركه الإنسان بحواسه كالقصور والمعابد والمساجد والعمارة الدينية والعسكرية والمدينة ونظام الري⁵ مرت عليها فترة معينة، ينسب إلى عصور وحضارات سابقة، وهو نوعان تراث مادي ثابت كالأسوار والقصور وتراث مادي منقول كالمشغولات المعدنية والفخارية والزجاجية.

¹ محمد البشير شنيقي - علم الآثار - الجزائر - دار الهدى - 2013 - ص 169.

² - محمد سيد أشرف صالح، التراث الحضاري في الوطن العربي - البحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية - مؤسسة النور للثقافة والإعلام - 2009 - ص 51.

³ مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية - تونس - منشورات المطبعة الرسمية - 2008 - ص 05.

⁴ محمد سيد أشرف صالح - التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ - مؤسسة النور - 2009 - ص 7.

⁵ محمد سيد أشرف صالح، - الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ - مؤسسة النور - 2009 - ص 7.

3/أسباب تلف التراث المادي بالجزائر: تعتبر المباني الأثرية تراث مادي مهم وجب الحفاظ عليه من التصدعات والتشققات وفي بعض الأحيان الانهيار الكلي للمبنى، وللحفاظ عليها يتوجب تدعيمها وإعادة تشكيل العناصر المتهدمة منها للزيادة من عمرها وحمايتها من خطر الزوال إثر العوامل الطبيعية والبشرية.

1-3- الأسباب الطبيعية:

- الأمطار والمياه: والتي غالبا ما تكون حمضية، لأن الهواء يحتوي على ثاني أكسيد الكربون والذي يذوب في الماء مكونا حمض كربونيك⁶ وفي هذه الحالة فإن بعض مواد البناء مثل المونة وملاط الجير والحجر الجيري والرخام والتي تحتوي على كربونات الكالسيوم والمغنيسيوم ربما تتحول إلى بيكربونات وتتحلل ببطء⁷، كما تؤدي بلورات الأملاح الموجودة في مسامات المواد والتي تكون موجودة في عملية البناء أو تتكون عند صعود المياه الى الجدران من الأرضية وتتسرب داخل مسامات الأحجار وتسبب بذلك ضغوط داخلية لاحتوائه على أملاح قابلة للذوبان وعند تعرضها للهواء تتبخر المياه داخل مسامات الأحجار ويؤدي إلى تفتتها وتشققها بفعل تبلور الأملاح الباقية⁸.

- الرياح والعواصف: تعتبر الرياح والعواصف الشديدة من أكثر عوامل التعرية والتي تؤدي مع الوقت إلى هدم المعالم الأثرية، خاصة إذا كانت تحمل معها حبيبات الرمل ذات الصلابة العالية أثناء مرورها على المباني الأثرية⁹.

- الزلازل: الزلزال هو حركة عنيفة مفاجئة وسريعة تتعرض لها الأرض، فتسبب الدمار والخراب، خاصة المباني الهشة، وللتقليل من أثار الزلازل على المباني الأثرية يجب ترميم المباني والزيادة من مقاومتها وفق طرق مناسبة، دون التغير من مظهره.

- الصواعق والبراكين: فالصواعق تسبب بعض التصدعات في المباني، كما تسبب انهيار الجوانب المصابة في البناء¹⁰.

- الاختلاف في درجات الحرارة أو التمدد الحراري: حيث تخضع مواد البناء لدورات الحرارة ، "أي أن هذه المواد تتعرض للتغيير يوميا وموسميا"، تحت تأثير تغيرات درجات الحرارة في فصول السنة وساعات الليل والنهار، أو التحولات الكيميائية بعد تعرضها لدرجات حرارة مرتفعة¹¹ مثل هذه الدورات تكون مصادر هامة للضغط، فهي تؤدي إلى تمدد مواد البناء عند ارتفاع درجة الحرارة وانكماشها عند انخفاضها¹²، وتزداد الضغوط داخل أجزاء المواد في السطح الخارجي المعرض مباشرة، وبين الأجزاء الداخلية التي تبعد عن المؤثرات الخارجية المباشرة، وتكون درجة حرارتها أقل من درجة حرارة السطح الخارجي، وعند ظهور الشقوق والشروخ في العناصر المعمارية غالبا لا تعود إلى حالتها الطبيعية مرة أخرى، ذلك لأن حطام مواد البناء يدخل داخل الشروخ ويزيد من توسعتها، لذلك يتوجب على المصمم وضع في حسابه التمدد الحراري للمواد التي تستخدم في تنفيذها¹³.

- الرطوبة: تتمدد معظم مواد البناء عند امتصاصها للماء وتنكمش عندما تطرده، ومن المهم أن نضع في الاعتبار التمدد الذي يحدث بسبب الرطوبة والذي يسبب إجهادا كبيرا يحدث بين سطح الحجر والأجزاء الداخلية¹⁴.

⁶ جورجيو توراكا-تكنولوجيا المواد وصيانة المباني الاثرية، ترجمة د أحمد عطية، دار الفجر، 2003، ص 93.

⁷ مرجع نفسه- ص 94.

⁸(T-), G- Matériau de construction poreux science des matériaux pour la conservation architectural- ICROM, 1986- p 32.

⁹ محمد سيد أشرف صالح- المرجع السابق- ص8.

¹⁰ نفس المرجع-ص8.

¹¹ (T-), G-op- cit- p35.

¹² جورجيو توراكا، المرجع السابق، - ص 39.

¹³ جورجيو توراكا، مرجع سابق- ص 73.

¹⁴ مرجع نفسه- ص 78.

- **النباتات:** وهي من عوامل التلف البيولوجي، وتكون نتيجة تجمع مياه الأمطار في الأماكن الأثرية، وتنمو بذلك بذور النباتات التي تنقلها الرياح والطيور في الشقوق والفواصل، كما يسبب زحف الأشجار على المباني تصدع هذه الأخيرة، كما أثبت التحليل أن الأحجار الكربونية تتآكل بفعل الإفرازات الحمضية الناتجة عن جذور الأشجار¹⁵.

والحيوانات: أما الحيوانات فهي الأخرى تتسبب في تشويه الآثار، فالطيور تسبب بفعل حفرها على الجدران تشويه للنقوش الجدارية، كما تحفر الفئران والنمل في أساسات المباني الأثرية مما يؤدي إلى اختلال التوازن في هذه المباني¹⁶.

3-2 الأسباب البشرية: بالرغم من التطور العلمي والتكنولوجي للإنسان إلا أنه له سلبيات على التراث المادي، حيث أدت إلى تغير في نمط الحياة الثقافية للفرد وبالتالي التغير من شكل البيئة المحيطة به ومنها الأماكن التي يستغلها ويعيش فيها، وتشويه صورة المباني والمنشآت القديمة بتجديدها بمواد وتقنيات حديثة، إضافة إلى النمو السكاني وما يترتب عنه من تكديس بشري وامتداد عمراني¹⁷ على حساب المدن القديمة.

- الهدم والتخريب:

ويأتي نتيجة عدم المراقبة من المؤسسات المختصة بحيث يقوم بعض الأفراد بأعمال تؤدي إلى هدم المباني التاريخية بدافع تجديدها أو إزالتها نتيجة للجهل بالقيمة التاريخية للبناء أو عن عمد، وقد يلجأ بعض ناهبي التحف إلى هدم المباني التاريخية وأخذ عناصرها الزخرفية كالبلاطات الخزفية أو الأعمدة أو التيجان أو المخلفات الأخرى قصد بيعها، وهناك خطر آخر أكثر خطورة وهو ناتج عن حركة النمو والتطور في مشاريع إعادة المدن والقرى وإقامة المشاريع الإنشائية كالسدود والسكك وشق الطرق ومد أنابيب وإنشاء المطارات والموانئ.....

- إدخال وسائل معيشية جديدة على المباني القديمة كالكهرباء والماء وقنوات الصرف، مما يؤدي إلى تدمير بعض أجزاء المبنى وتغير في المخطط الداخلي للمبنى.

- السماح للمركبات الحديثة ووسائل المواصلات الحديثة بالمرور في الشوارع وحارات المدن القديمة والتي لم تنشأ لتحمل هذا النوع من الحركة إلى جانب ما تحدثه هذه الوسائل من اهتزازات على المباني، وما تبعته من أدخنة تحمل جزئيات الهيدروكربونات المؤكسدة والأكاسيد الهيدروجينية¹⁸.

- ومن السلبيات فقدان الوعي بأهمية التراث المادي من الأفراد والمسؤولين، حيث في غالب الأحيان يتم إزالة المواقع الأثرية بغرض توسيع وإنشاء البنية التحتية كإقامة السدود وشق الطرق.

- قلة المختصين في صيانة وترميم الآثار، مع عدم تخصيص ميزانية كافية للترميم مما يؤدي إلى تلف المباني واندثارها مع الوقت، كما يحدث الترميم الخاطئ أضرار على المباني إذ لم يراعي التشخيص الصحيح لمبادئ الترميم ودراسة مواد البناء والأصالة التاريخية للمنشآت، مما

¹⁵ محمد سيد أشرف صالح - مرجع سابق- ص 11.

¹⁶ نفس المرجع-ص 11.

¹⁷ محمود البنا - المدن التاريخية خطط ترميمها وصيانتها- القاهرة- مكتبة زهراء الشرق - 2002- ص 32.

¹⁸ محمود البنا - مرجع سابق- ص 33.

يؤدي إلى طمس العناصر الأثرية، بإضافة مواد غير مناسبة في الترميم حيث يستعمل الاسمنت الذي يؤدي إلى ترسب الأملاح المركبة إلى سطوح الجدران وتبلورها مسببة ضغوط موضعية تؤدي إلى تفتت السطوح¹⁹، وكذلك استعمال الجبس الذي يؤدي إلى تسرب الرطوبة²⁰. الحرائق: فهي تحدث أضراراً بمواد البناء بكل أنواعها وخاصة الأخشاب، كما أنها تحدث تحولات كيميائية في مواد البناء سواء الأحجار أو الطوب.

الحروب: فالكثير من الأحيان يعتمد العدو عند الحروب إلى تدمير المدن القديمة وإشعال النيران بها خاصة في الفترات الحديثة والمعاصرة باستعمال وسائل التدمير المتطورة

ولذلك فقد أنشئت هيئات دولية للاهتمام بالتراث وحمايته، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، حيث قامت منظمة هيئة الأمم المتحدة والمنظمات المتخصصة المتفرعة عنها كمنظمة اليونسكو التي قامت بالمساعدة على إحداث هيئات تساعد على حماية المباني التاريخية والمواقع الأثرية ICOMOS المجلس الدولي للمباني والمواقع الأثرية، والمجلس الدولي للمتاحف الدولي (ICOM) 17، المركز الدولي لحماية الممتلكات الثقافية وترميمها (الايكروم) CCROM 1 بروما ومنها اتفاقية لاهاي الدولية التي عقدت عام 1954م من أجل حماية الممتلكات الثقافية في حالة وقوع نزاع مسلح²¹.

4/ أهم المواقع الأثرية بالجزائر: تختلف المواقع الأثرية باختلاف طبيعتها والفترة التي تعود إليها، والحضارة التي تنتمي إليها، ولكل موقع مميزاته وخاصياته وذلك ناتج عن اختلاف المظاهر الحضارية لكل منطقة، وتعتبر المدن القديمة المحفوظة بمعالمها وبطرزها المعمارية والفنية وسماتها الحضارية شيئاً نادراً²²، والتي تعرضت في أغلب الأحيان إلى الاندثار أو التغير في معالمها الحضارية، وهناك عدة أنواع للآثار بالجزائر ونقسمها حسب الفترات التي تنتمي إليها.

إن الجزائر ثرية بالمواقع الأثرية وذلك لشساعة مساحتها الجغرافية وتنوع الطبيعة فيه من تل وهضاب وصحراء، فحسب الخريطة الجديدة التي شرعت الوزارة في إنجازها منذ مايو 2020 إلى 2021 فقد تم إحصاء 15200 موقع أثري وقد تم إدراج تلك المواقع في خريطة أثرية، منها 4700 موقع أثري يعود تاريخه إلى ما قبل التاريخ، وهي أضعاف عدد المواقع التي أحصاها ستيفان غزال سنة 1911م أحصى في كتابه الأطلس الأثري والذي ركز فيه على الآثار الرومانية²³، فقد استقر الإنسان منذ حوالي 2.4 مليون سنة وأقام حضارته والتي مازالت شواهدا قائمة إلى يومنا هذا، ولقد ظل الإنسان لفترة تقترب من تقرب من مليون عام يعيش على الصيد، ثم تطورت قدراته العقلية وتخيالاته ومهارته ليرتقي إلى مستوى أفضل (ولولي)، وهو ما تضمنه الرسومات والأدوات التي خلفها كشواهد على ما عاشه.

ويمكن تصنيف المواقع الأثرية في الجزائر حسب الفترات التاريخية وأهمها:

4-1 فترة ما قبل التاريخ: تعرف هذه بفترة ما قبل التاريخ لأن الكتابة لم تعرف بعد حتى يدون حياته، وقد عثر بالجزائر على آثار العصر الحجري في مناطق كثيرة أهمها موقع عين الحنش بسطيف (الميلي، 1964)، والذي يعود 2.4 مليون سنة وهو ثاني أقدم موقع بالعالم بعد موقع غونا في إثيوبيا، اكتشف سنة 1947 من طرف أرميوروع والذي نظم حفريات سنتي 1952 و 1953 كللت باكتشاف هام ويتمثل

¹⁹ عزت زكي حامد قادوس- علم الحفائر وفن المتاحف- القاهرة- دار البستاني للنشر والتوزيع- 2003- ص 248.

²⁰ محمد سيد أشرف صالح - مرجع سابق- ص 13.

²¹ شوقي شعث - المعالم التاريخية في الوطن العربي- وسائل حمايتها وصيانتها وترميمها- مجلة التراث العربي (104)- 2006- ص 302.

²² محمود البنا - مرجع سابق- ص 13.

²³ محمد البشير شنييتي - مرجع سابق- ص 70.

في بقايا عظمية حيوانية وصناعة حصوية، وهي تشبه العظام التي عثر عليها في موقع ألدوفاي، ودراسة الحصى المشذب بها أدى إلى انساب صناعة عين الحنش إلى أقدم صناعة حجرية²⁴، وموقع تغنيف بمعسكر والذي يصنف ضمن الحضارة الأشولية والذي اكتشف سنة 1870م ونظم به الأستاذ ك. أرميور حفريات علمية ابتداء من سنة 1954م نتج عنها اكتشافات هامة تتمثل في الصناعة الأشولية وبقايا عظمية عديدة منها بقايا عظمية آدمية تنتمي للإنسان المعتدل أعادة التصور للمناخ في هذه المنطقة وصنف هذا الموقع كأقدم موقع للحضارة الأشولية في بلاد المغرب²⁵، وموقع وادي جبانة بمنطقة بئر العاتر قرب مدينة تبسة والذي اكتشف من طرف م. ريقاس²⁶.

-ومن المواقع أيضا موقع الطاسيلي بجانت حيث تشير بعض الآثار والرسوم الى وجود الإنسان بها منذ حوالي 8000 قبل الميلاد، وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الصيد خاصة صيد النعام²⁷ وأكثر المشاهد المؤثرة به هو الرسوم المنقوشة على الصخور ومنها مشهد البقرة الباكية التي تأثر بها إنسان ما قبل التاريخ ورسمها.

- وموقع تادراوت وسيفار بالطاسيلي: وهي على الحدود الليبية لها منظر رائع برمال برتقالية، وهي متاحف عالمية على الهواء تحوي جداريات لصور ونقوش، وهي سجل تاريخي لصورة الحياة فيما قبل التاريخ.

4-2 الفترة القديمة: وتبدأ الفترة القديمة في شمال إفريقيا بقدوم الفينيقيين الى مدينة قرطاج سنة 814 ق م، وتأسيسهم للمدينة من طرف الأميرة عليسة التي فرت من شقيقها بقماليون بكنوز زوجها عشرياص الذي اغتاله صهره²⁸، وسقطت قرطاجة في يد الرومان سنة 146 ق م بعد قتال عنيف، وأصبحت بموجبه الجزائر مستعمرة رومانية في القرن الأول المسيحي²⁹، ثم تعاقب على الجزائر الحكم الوندالي من سنة 429-534م والذين قطعوا قطر الجزائر حتى وصلوا الى عنابة سنة 429م، ثم الروم البيزنطيون الذين اكتسحوا إفريقيا الشمالية³⁰، وتضم المنطقة الشمالية من الجزائر غنية بالآثار القديمة وذلك منذ دخول الفينيقيين الذين أسسوا قرطاجة وبدأوا يتقدمون نحو الغرب كان أهمها: هبو - ريجيبوس (عنابة)، روسيكادا (سكيكدة)، اجيجلي (جيجل)، سلداي (بجاية)، روزوكرو (دلس)، إيكوسيم (الجزائر العاصمة)، تبسة (تيفيست)، تيمقاد، شرشال القيصرية وغيرها (مطمر، 2011)، ومن المراكز المنسوبة الى الفينيقيين أوزية ويقولون أنها سور الغزلان³¹، ولا يعرف مدة سيادة القرطاجين على نوميديا ولكن يرجح أن كانت تحت تصرف سيفاكس البربري، ومنذ سنة 149 ق م لم تبقى لقرطاجة يد على نوميديا³²، وتلي هذه الفترة الرومانية التي تبدأ سنة 46 ق.م حيث استعمر الرومان شرقي نوميديا وأطلقوا عليها اسم إفريقيا الجديدة أو ونوميديا الحديثة، وقد كانت حدود الرومان بالجزائر في القرن الأول للميلاد يمر شمال الأوراس ويجتاز سهول سطيف ومجانة وسور الغزلان ثم يتوسع قليلا فيمر بالبرواقية وساحل الشلف ويجتاز وادي ميناس الى ناحية غليزان، وفي غربي وهران يقترب جدا من البحر وينتهي بمصب نهر ملوية³³.

²⁴ محمد سحنوني، - ما قبل التاريخ - الجزائر - ديوان المطبوعات الجامعية - 1999 - ص 87.

²⁵ نفس المرجع - ص 101.

²⁶ نفس المرجع - ص 105.

²⁷ محمد العيد مطمر، - مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية - - رحلة الى تيمقاد - ميلة الجزائر - دار الهدى - 2001 - ص 13.

²⁸ محمد الهادي حارش، - التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري - الجزائر - المؤسسة الجزائرية للطباعة - 1992 - ص 44.

²⁹ عبد القادر نور الدين - صفحات في تاريخ مدينة الجزائر - الجزائر - دار الحضارة - 2006.

³⁰ نفس المرجع - ص 19.

³¹ محمد الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - لبنان - مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر - 1964 - ص 131.

³² نفس المرجع - ص 139.

³³ نفس المرجع - ص 256.

- تبسة: تقع تبسة أقصى الشرق الجزائري، وهي مدينة لها جذور في التاريخ من خلال الآثار الباقية بها والتي تعود إلى الفترة البيزنطية والرومانية، ومنها السور البيزنطي، معبد مينارف والذي تبلغ مساحته 18.8م طولا و 9م عرضا، بني في الفترة الرومانية حوالي القرن الثالث، يوجد بالقرب من قوس النصر كراكلا وسط القلعة البيزنطية، وكان المعبد مخصص في تلك الفترة لعبادة إلهة الحكمة مينارف، ويستغل حاليا كمتحف.
- تيمقاد: عروس الأوراس والتي تعتبر أطلالها شاهدا على تاريخها العريق في الفترة الرومانية.
- شرشال القيصرية: تقع غرب الجزائر العاصمة بحوالي 90 كلم، سميت بأبول في عهد الفنيقيين إلى القرن الأول قبل الميلاد، ثم أصبحت عاصمة لمملكة يوبا الثاني فغير اسمها إلى قيصرية تخليدا للملك الروماني يوليوس، أما تسمية شرشال فهو اسم أمازيغي، إذا أن الأمازيغ يطلقون على مصب الماء اسم أشرشور، إذا أن المنطقة تزخر بمنايع مائية كثيرة، ويذكرها ابن حوقل باسم أشرشال "ومدينة أشرشال مدينة قديمة أزلية قد خربت، وفيها مرسى وبها آثار قديمة وأصنام من حجارة ومباني عظيمة"³⁴، ومن المعالم التاريخية القديمة بها المدرج والمسرح الروماني، متحف المدينة، السور الروماني، الميناء، الحمامات الغربية، والساحة العمومية التي تضم تحفا وأشجار نادرة.

4-3 المواقع الإسلامية:

وفي سنة 27هـ-647م أمر الخليفة عثمان بن عفان عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبي السراج بالمسير إلى إفريقية وبعدها توالت الفتوحات بهذه الأقطار، ولا يعرف التاريخ الذي استقر به العرب في الجزائر³⁵، فكان فتح المسلمين لمصر سنة 641م وكان هذا إيذانا بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الإفريقي، فتوالت الحملات على هذه البلاد حتى دخل الشمال الإفريقي كله تحت راية الدولة العربية الإسلامية، والتي لم تأخذ صفة الاستقرار إلى في عهد عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ 666م، والذي بنى مدينة القيروان في تونس، فكانت هذه الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إسلامية بشمال إفريقيا³⁶، وانتشر الإسلام عبر ربوع أرجائه وتنوعت العمارة الإسلامية التي كان مركزها المسجد الجامع الذي هو عصب الدولة والذي تتفرع حوله المرافق العامة،

وقد بدأت تتضح معالم بلاد المغرب والأندلس ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري، فقد أسس الأمويون خلافتهم الجديدة في قرطبة، وأسس بنو مدرار عاصمة إمارتهم الصفرية في سجلماسة، وأسس الأدراسة دولتهم في فاس، وأسس بنو رستم عاصمة إمامتهم الإباضية في تاهرت، وبعدها بدأت الأمور أما في العهد الحديث أي مطلع القرن السادس عشر فقد استنجد الجزائريين بالأخوين عروج وخير الدين بربروس الذين لمع اسمهما في حوض الأبيض المتوسط، بسبب جهادهما من أجل إنقاذ بواخر المسلمين الفارين من الاضطهاد الإسباني، حيث استنجد بهما سكان مدينة بجاية في عام 918هـ/1512م وتحالف ابن القاضي مع بربروس لتخليص المنطقة من الإسبان، لكن لم ينجح عروج هذه المرة في هزيمة الإسبان.

-ومن الدول التي حكمت الجزائر الدولة الرستمية والتي تأسست بتيهت 161هـ / 777م حيث بويع عبد الرحمان بن رستم بالإمارة ثم الإمامة، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بناء مدينة تاهرت ولكن الأكيد انها كانت مركزا للدولة الرستمية التي حكمت بين 160-296هـ/ 776-908م والتي بنيت على منحدر جبل جزول.

³⁴ أبي القاسم ابن حوقل - كتاب صورة الأرض - بيروت - منشورات دار مكتبة الحياة - 1996 - ص 78.

³⁵ عبد القادر نور الدين، مرجع سابق - ص 22.

³⁶ شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث - القاهرة - 1977 - ص 07.

- والدولة الإدريسية والتي تأسست بالمغرب الأقصى سنة 172هـ/788م وأول أميرها إدريس بن عبد الله، ثم الدولة الأغلبية التي تأسست سنة 184هـ/800م حيث تولى إبراهيم بن الأغلب على إفريقية، وبعده الدولة العبيدية وأميرها الأول عبيد الله المهدي الذي أسس مدينة المهدية، والدولة الزيرية وتنسب إلى أميرها زيري بن مناد الصنهاجي الذي أسس مدينة أشير.³⁷
- والدولة الحمادية والتي دامت فترة حكمها من 405هـ إلى 547هـ أسسها حماد بن بلكين بن زيري والتي مازالت أثارها باقية إلى اليوم وهي قلعة بني حماد بين برج الغدير والمسيلة، بدا حماد بن بلكين في بناء القلعة سنة 398هـ وتم تمصيرها سنة 400هـ، وفي عهد هذه الدولة شرع الناصر بن علناس بن حماد في تأسيس بجاية سنة 460هـ، واختار لها موقعا منيعا على سفح جبل.³⁸
- دولة المرابطين: وتسمى أيضا الدولة اللمتونية ودولة الملمتين، تمتد من المغرب الأقصى إلى مدينة الجزائر حكمت مدة 67 عام من 454 إلى 541هـ، ويبدأ تاريخها منذ تأسيس يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة 454هـ، وبعدها حكمت دولة الموحدين ومؤسسها عبد المؤمن بن علي من قرية ناجرا قرب ندرومة بوهرا دامت من سنة 541-668هـ.³⁹
- الدولة الحفصية وتنسب إلى أبي حفص بن عمر بن يحيى الهنتاني، وهنتانة قبيلة من المصامدة في جنوب المغرب الأقصى، وكان سقوطها على يد الأتراك، بعد أن استنجد بهم سلطان تونس الحفصي لاسترجاع مدينة بجاية التي كانت خاضعة له تطبيقا لاتفاق التعاون الذي عقده معهم (شوفاليه)، ولكن الحملة الأولى والثانية لم توفق حتى المرة الثالثة التي صمم فيها عروج أولا على احتلال المدن الساحلية فقرر التوجه إلى جيجل وياشر بقصفها وبعد مقاومة بسيطة استسلمت المدينة⁴⁰، وطرد منها الجنود الجنوبيين.
- دولة بني عبد الواد الزيرية: هي من أعظم الدول الإسلامية في إفريقية، قام بتأسيسها قبيلة بني عبد الواد، وموطنهم الأصلي ما بين بلدة سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا⁴¹.
- وفي العهد العثماني والذي كان نتيجة استنجد سكان الجزائر بالعثمانيين، إثر الوضع السيئ الذي كان يسود المنطقة ما جعل حكامها وأعيانها يبحثون عن قوى تخلصهم من مضايقة الإسبان، الذين كانوا يتمركزون بقلعة البنيون، أثر معاهدة الاستسلام التي وقعها سليم التومي وإعلان ولائه للقائد الإسباني " بدروتا فرو " في 916هـ/جانفي 1510م، فاتجهوا نحو الأخوين عروج وخير الدين⁴²، وقبلت عائلة بربروس هذا الطلب ورأت في مدينة الجزائر موقع هام وبأنها مريحة ومناسبة لعمليات القرصنة⁴³.
- فدخل عروج أولا مدينة شرشال ثم منها انتقل سنة 922هـ/1516م، برا نحو مدينة الجزائر⁴⁴، وقسم مملكته مع أخيه خير الدين إلى مقاطعتين، مقاطعة غربية يشرف عليها هو ومقرها الإداري مدينة الجزائر، ومقاطعة شرقية يشرف عليها خير الدين ومقرها الإداري مدينة دلس⁴⁵.

³⁷ عبد القادر نور الدين - مرجع سابق- ص 41.

³⁸ نفس المرجع- ص 42.

³⁹ نفس المرجع- ص 43.

⁴⁰ عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية - م- ع- عامر (Trad-)، بيروت- دار النهضة العربية- 1989.

⁴¹ نفس المرجع- ص 44.

⁴² ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، - الجزائر في التاريخ العهد العثماني - الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- 1984- ص 12.

⁴³ كورين شوفاليه - الثلاثون سنة لقيام مدينة الجزائر - ص 26.

⁴⁴ نفسه- ص 26.

⁴⁵ مجهول- غزوات خير الدين وعروج، تحقيق نور الدين عبد القادر - الجزائر- المطبعة الثعالبية- 1934- ص 30.

وواصل عروج المعارك في المناطق الداخلية، وتوجه إلى تلمسان للقضاء على آخر الملوك الزيانيين المتعاونين مع الإسبان، ولكن القوات الإسبانية تمكنت من حصار المدينة وبعد ستة أشهر من الحصار استسلمت المدينة وتمكن عروج من الهروب، لكنه وقع في الفخ وقتل قرب واد المالح⁴⁶ سنة 923هـ/1518م، وتعتبر الفترة العثمانية بالجزائر مكسب تاريخي وعمراني وثقافي كبير لما خلفته من إرث حضاري عريق، وفي هذه الفترة تأسست عدة مدن إسلامية منها مدينة الجزائر التي أسسها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي حوالي سنة 339هـ-950م، ولم يطلق اسم الجزائر على الإقليم كله إلا منذ القرن 10هـ/16م أما قبل ذلك فقد كان يعرف بالمغرب الوسط⁴⁷.

وتعد هذه الفترة من أكثر الفترات التي مازالت تحافظ على أغلب المواقع الأثرية، رغم التهديم والطمس الذي شهدته المعالم الإسلامية إبان الفترة الاستعمارية إلا أنه بقي العديد منها شامخا يروي فترة الحكم الإسلامي بها، حيث نجد ثاني أقدم مسجد بالمغرب العربي وهو مسجد الصحابي الذي جاء فاتحا للمغرب أبو المهاجر دينار، وباني مسجد سيدي غانم بمدينة ميلة الذي مازال يحافظ على محرابه وتيجانه وأقواسه رغم الإهمال.

وبتلمسان نجد مسجد المشور والذي يعود إلى السلطان أبو حمو بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان سنة 517هـ، وهو جزء من القلعة التي بدأ بتأسيسها المرابطون على عهد الأمير يوسف بن تاشفين وأتمها السلطان الزياني يغمراسن في القرن 7 هـ، وبعنابة مسجد صالح باي والذي بني في الفترة العثمانية في سنة 1206هـ/1792م وهو صرح إسلامي ذو مئذنة دائرية وقبة حدوية الشكل، وبالمقابل نجد مسجد حسن باشا بوهراي والذي بني بعد سنة 1792، ومسجد الباي عثمان بن محمد الكبير الذي بني سنة 1799هـ.

- ومن أشهر المعالم أيضا نجد قصبة مدينة الجزائر والمصنفة ضمن التراث العالمي تقع في القسم الجنوبي من المدينة العتيقة، بنيت في العهد العثماني على مراحل كان آخرها المرحلة التي صارت فيها مقرا لحكم الدايات (1817-1830)، تزيد مساحتها عن التسعة آلاف متر⁴⁸، وفي قسنطينة نجد العديد من المعالم الإسلامية أشهرها مسجد سيدي لخضر والذي يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1743م في فترة حكم الباي حسن بن حسين، قصر أحمد باي الذي بناه الباي أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي بني في الفترة ما بين 1825-1835، يتكون القصر من 121 غرفة و45 بابا و60 نافذة و2300 متر من الأسقف الخشبية، يحوي القصر رسومات على مساحة 2000 متر مربع تؤرخ لحياة الحاج أحمد باي.

ثانيا: طرق الحفظ على التراث المادي واستغلاله في التنمية:

تتوفر الجزائر على تراث مادي كبير، حيث تعاقبت عليها الكثير من الحضارات ابتداء من فترة ما قبل التاريخ، وهذا ما يؤهلها لأن تكون قطبا سياحيا، ويجعلها مزارا للسياح المحليين والأجانب، وجعل المعالم الأثرية ثروة ثقافية وعصب الاقتصاد البديل في الجزائر.

لذلك يجب الاهتمام بالتراث المادي وصيانه وتثمينه والإبقاء على ما يحتويه من قيم تاريخية وأثرية وحضارية واقتصادية، بوضع بطاقات جرد لمعرفة حجم التراث والتشهير به في الداخل والخارج، وإلهام السائح بصور تحفزه لزيارته ومعرفة أسرار.

1- تخليص الآثار من مظاهر الإهمال والعزلة، والحفاظ عليها وإيصالها للأجيال القادمة بصورة جيدة⁴⁹.

⁴⁶ عبد الله بوصنيرة، - التسويق السياحي في الجزائر - نحو تفعيل استراتيجية اتصال مستدامة - مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية 6(4) - ديسمبر 2021 - ص 43.

⁴⁷ نور الدين عبد القادر - مرجع سابق - ص 22.

⁴⁸ علي خلاصي - قصبة مدينة الجزائر ج 1 - دار الحضارة - 2007 -.

⁴⁹ محمود البنا - مرجع سابق - ص 26.

- 2- عدم المساس في عملية الترميم بمادة الأثر الأساسية، وعدم إحداث أي تجديد يغير من معالمه الأصلية إلا ما تفرضه الضرورة.
- 3- تركيب مانعات الصواعق في المباني الأثرية المتصدعة، ومراقبتها باستمرار حتى تبقى جاهزة في أوقات الصواعق.
- 4- إقامة المعالم المتهمة: إذا توفرت للمختصين الوثائق التي تمكنهم من إقامة المباني دون استحداث لعناصر لم تكن موجودة ودون طمس لخصائص المعالم، وفي حالة لم يتم الحصول على هذه الوثائق، فعملية الترميم تكفي مع محاولة حمايتها من مختلف عوامل التلف دون إدخال مواد وعناصر جديدة أخرى.
- 5- بناء متاحف باعتبار المتحف مدرسة تجسد العلاقة والتفاعل المستمر بين التلميذ وطرف من تراثه.
- 6- إصدار مجلة خاصة بالمدن القديمة تسرد تاريخها، وتقوم بنشر مقالات وبحوث علمية وإصدار بطاقات بريدية تبرز أهمية الحفاظ على الإرث الثقافي الذي يعتبر رمزا لرموز المنطقة.
- 7/ تنظيم مهرجانات بالمنطقة ودعوة المختصين لتنظيم ندوات حول تاريخ المنطقة.
- 8/ تأسيس جمعيات ثقافية وعلمية هدفها التعريف بتراث المدن.
- 9/ الاهتمام بالصناعة التقليدية وتشجيع الحرفين إدماجها مع المدن القديمة.
- 10/ إعادة إحياء المباني القديمة واستخدامها سواء حسب وظيفتها الأصلية أو وظيفة مشابهة أو حتى وظيفة حديثة تخدم المدينة.
- 11/ وضع مطويات وإشارات للتعريف بالواقع الأثرية مع وضع بطاقة تاريخية لكل معلم، وتزويد المعالم بلوحات تروي تاريخها حتى يتسنى للسائح معرفة ماضيها.
- 12/ التنقيب والبحث على الآثار التي مازالت مدفونة تحت الأرض، ووضع قوائم للممتلكات الثقافية.
- 13/ وضع صور للمعالم الأثرية على الطوابع البريدية ووضع بطاقات مصورة لهذه المعالم التي يمكن أن تنتقل حتى خارج الوطن للتعريف بتراثنا المادي العريق.
- 14/ خلق مواقع إلكترونية تحوي مواقع أثرية وتاريخية للتعريف بتراثنا، والاستخدام المكثف لوسائل الإعلام المختلفة حتى تصبح المنطقة معروفة وإعطاء فكرة جديدة عن المكان وتنويع الخدمات وتحسينها⁵⁰ لاستقطاب أكبر عدد من السواح.
- 15/ توفير المرافق الضرورية أمام المواقع الأثرية للتسهيل للزائر زيارة الموقع دون مشقة، وتوفير النقل للوصول إليه دون مشقة.
- 16/ تكوين المرشدين السياحيين لمرافقة السياح وتعريفهم بالمواقع الأثرية والسياحية.
- 17/ انجاز المرافق السياحية فنادق، نزل، مطاعم لتوفير الراحة للسائح تكون قريبة من المواقع الأثرية إلا جانب توفير النقل والأمن والصحة وحسن الاستقبال وسرعة تقديم الخدمات وجودتها وقلة تكاليفها، مع توفير الراحة والأمن، لكسب الرضا من السائح على الخدمات لمداومة الزيارات⁵¹.
- 18/ التوعية: وذلك بتعريف المواطن بأهمية الآثار الثقافية والاقتصادية له ولغيره وانتهاز الفرص لإثارة اهتمامه بالتراث الحضاري وإشعاره بالمسؤولية، وإدخالهم ومشاركتهم في اللجان والمؤسسات الحكومية والأهلية الراعية لحماية التراث لتساعد على توعية المواطنين وشاغلي الأبنية

⁵⁰ عبد الله بوصنيرة، مرجع سابق - ص 27.

⁵¹ عبد الله بوصنيرة، - مرجع سابق - ص 123.

الأثرية والتراثية والاتصال بالجهات الفاعلة كالوزارات المختلفة وشرح أبعاد قضية التراث وفائدتها للشعب والهوية وبالتالي مطالبها بتخصيص الأموال اللازمة لصيانة تلك المباني وترشيد استخداماتها وإصدار التشريعات النازمة لذلك⁵².

19/ عمل قنوات أو خنادق حول المدن والتاريخية لدرء السيول وتسهيل صرف مياه الأمطار بعيداً ، ومنها زيادة مقاومة البناء وإصلاح نقاط الضعف التي تقذفها المياه إلى داخل البناء عبر الشقوق الموجودة بالجدران والسقوف أو الأساسات وهناك عدة طرق لعلاج مثل تلك الحالات عندما تكون الأبنية طينية أو حجرية أو قرميدية ، وسد الثغرات والمنافذ الموجودة في سقوف الجدران باستعمال سائل إسمنتي يناسب تلك الحالة، وغالباً ما تكون مغطاة بالقرميد أو الصفائح الرصاصية أو الحجر المرصوف أو الإسمنت أو الطين ولوقاية تلك السطوح من الأضرار التي تسببها مياه الأمطار لابد من استكمال نواقص التغطية (السقفية) وإتقان تلاحم مكونات السقف كأن يلجأ إلى تغيير السقف أو إصلاح الشقوق فيه وفي حالة وجود سطح ترابي فمن المستحسن استبداله بسطح إسمنتي، وأما الأساسات العائدة للمباني فهناك عدة طرق لوقايتها من التأثير بالرطوبة وتسرب المياه فهذه المشكلة سببت متاعباً وأضراراً للمباني الأثرية التي تأثرت بها، ولمعالجة هذا الوضع لابد من التفكير في التخلص من المياه عن طريق إحداث شبكة للصرف لتصريف المياه بعيداً، هذا وقد تستخدم عدة وسائل لتجفيف المنطقة المتأثرة بالمياه والرطوبة خاصة في المناطق التي ترتفع فيها الرطوبة كحقن الأساسات بالإسمنت أو استخدام طرق العزل لمنع نفاذ الرطوبة وذلك باستخدام القار (القطران) أو بمواد صناعية غير راشحة⁵³.

20/ إصدار تراتيب قانونية تضبط أعمال المتاجرة بالآثار، ومنع الحفريات السرية ومنع تصدير القطع الأثرية المتأتية منها⁵⁴.

21/ اقتراح تصنيف المعالم الأثرية من منظمة اليونسكو لحمايتها من التلف والانحيار.

4. خاتمة:

تعتبر المواقع الأثرية من التراث المادي الذي يحدد هوية الشعوب، وبه يحدث التكامل بين الماضي والحاضر، كما يعتبر مكسب اقتصادي إذ ما استغل كقطب سياحي وذلك بالمحافظة عليه وتأهيله وترميمه والعناية والتوعية بأهمية الآثار في مستقبل البلاد، وإبقائها صامدة أمام جشع العولمة في تحطيم ثقافة الشعوب، وعليه يجب أن نستمد أكبر فائدة من التراث المادي باستغلاله والترويج له بكل الوسائل المتاحة والحديثة للتعريف به في الداخل والخارج، وإعطائه صورة لائقة تليق بعراقة تاريخنا الموهل في القدم، ولتحقيق ذلك يجب تضافر الجهود من كل القطاعات السياحية والنقل والبيئة والصحة والأمن بتوفير المرافق اللازمة بالقرب من المواقع السياحية وتوفير طرق ووسائل المواصلات لها، مع دراسة إستراتيجية لوضع خطة لجلب السواح وفق مخطط محكم، تتحكم فيه متطلبات العالمية، والاتجاه نحو استغلال السياحة في التنمية الاقتصادية.

⁵² شوقي شعث، -مرجع سابق- ص 304.

⁵³ -مرجع سابق- ص 308.

⁵⁴ محمد البشير شني - مرجع سابق- ص 235.